أد/ نورالدين بوزناشة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية _ قسنطينة-

كلية الآداب والحضارة الإسلامية- قسم اللغة العربية

عنوان المداخلة: أثر السياق في بيان دلالة غريب ألفاظ أحاديث الموطأ

-الاقتضاب في غريب الموطأ، محمد بن عبد الحق اليفرني **التلمساني(625ه) أنموذجا-**

ملخص:

يؤدي السياق دوراً مهماً في تحديد دلالة الكلمات الغريبة، أو غير المألوفة في أي نص؛ فهو المفتاح لفهم معناها بدقة؛ ولهذا اهتم به المتقدمون؛ ووضعوا نظرية سياقية عربية أصيلة في علوم متعددة: الحديث، الفقه، التفسير، اللغة، البلاغة...

انكب علماء المغرب عموما والجزائر خصوصا على العناية بموطأ الإمام مالك شرحا واختصارا ؛ ومن هؤلاء: التلمساني الذي سعى إلى تقريب معاني الموطأ، ودلالته وأحكامه؛عن طريق توضيح غريب ألفاظه استنادا إلى السياق الذي وردت فيه؛ لكي لا يقع اللبس، والفهم السقيم للسنة الشريفة؛ لأنّ النص تغيّر مكانه وزمانه فكان كتابه: خير معين على فهم غريب الموطأ ومعانيه؛ ولهذا كان عنوان المداخلة: **أثر السياق في بيان دلالة غريب ألفاظ أحاديث الموطأ -الاقتضاب في غريب الموطأ، للتلمساني(625ه) أنموذجا-**

Summary:

Context plays a crucial role in determining the meaning of unfamiliar or obscure words in any text; it is the key to understanding their precise meaning. This is why earlier scholars paid significant attention to it, developing an original Arabic contextual theory in various fields such as Hadith, jurisprudence, interpretation, and language. Scholars in Morocco, especially in Algeria, focused on the explanation and summarization of Imam Malik's Muwatta. Among them was al-Tilmissani, who sought to clarify the meanings, implications, and rulings of the Muwatta by explaining the obscure terms based on the context in which they appeared. However, there remains a risk of misinterpretation of the noble Sunnah due to changes in time and place. His work is considered a valuable aid in understanding the Muwatta and its meanings. Hence, the title of the discussion was: "The Impact of Context on Clarifying the Meaning of Obscure Terms in the Hadiths of the Muwatta - With Al-Tilmissani's *Al-Iqtidaab fi Gharib al-Muwatta* (625 AH) as a Model."

مقدمة:

اهتم العلماء قديما بحديث رسول -الله صلى الله عليه-؛ فانكبوا على العناية به ودراسته رواية ودراية؛ وقد اختلفت مناهجهم في ترتيب الأحاديث؛ فمنهم من رتبها وفق أبواب الفقه؛ وهذا فعله إمام دار الهجرة **مالك** -رحمه الله- في موطئه.

حظي الموطأ بالقبول من الأمة؛ حيث اعتنى العلماء به؛ خاصة أعلام الجزائر ممن تتلمذوا علي يده؛ وتمذهبوا بمذهبه كعبد الله الداودي، أبو عبد الملك علي البوني، أبو عبد الله التلمساني ؛ فعكفوا على شرحه(الموطأ) و تفسيره؛ لاستنباط أصوله وأحكامه؛ واختصاره نظما ونثرا؛ قصد تيسير حفظه؛ أو بيان غريب ألفاظ أحاديثه (الموطأ)؛ على نحو ما فعل أبو عبد الله التلمساني في كتابه "**الاقتضاب في غريب وإعرابه على الأبواب**"؛ إذ حرص على بيان غريب ألفاظ أحاديث الموطأ؛ استنادا إلى السياق المبين لدلالته في شرحه وبيانه؛ ليكون الفهم سليما، واستنباط الحكم دقيقا فلا يقع المتلقي في اللبس والغموض.

هنا نتساءل؛ ما أثر السياق في بيان دلالة غريب ألفاظ الحديث النبوي؟ كيف وجّه التلمساني تلك الألفاظ الغريبة؟، ما منهجه؟ ما أثر السياق اللغوي والمقامي في هذا التوجيه؟ وما دوره(السياق) في فهم و إفهام أحاديث رسول الأنام؟.

تهدف هذه المداخلة إلى الكشف عن أثر السياق في بيان دلالات غريب ألفاظ أحاديث الموطأ عند التلمساني، ودوره في تحقيق الفهم والإفهام؛ وإزالة اللبس والغموض، ثمّ بيان فضل علماء الجزائر في خدمة الحديث النبوي.

اعتمدت المنهجية الآتية: التعريف بالمؤلف، ثمّ المدونة، تليها المصطلحات المفاتيح في هذه المداخلة، ثم تحليل نماذج مختارة.

1__ التعريف بالتلمساني:

اسمه:محمد بن عبد الحق بن سليمان، أبو عبد الله، الكُومِي اليَغْمُرِي التلمساني.

مولده: ولد عام 536ه بتِلِمْسَان.

تعليمه ورحلاته: كان حريصا على طلب العلم والتزود منه، أخذ العلم عن والده، و عن غيره من أهل بلده: الفقه والنحو والقراءات، ارتحل بعدها إلى بلاد المغرب الأخرى: سبتة، فاس، مراكش، وكذا بلاد الأندلس التي صال فيها وجال.

__ شيوخه:

ومن هؤلاء: والده الفقيه: عبد الحق بن سليمان(571ه)

__ ابن مضاء القرطبي(592ه).

__ أبو العباس المعروف بـــ"ابن الخَرُّوبِي".

__ المحدث أبو طاهر الأصبهاني (576ه)

عمله: ولي الفقيه المالكي،الحافظ للحديث، والمقرئ، القضاء بتلمسان مرتين، فكان قاضيا، ووجيها من وجهائها.

تلاميذه:

ومن أبرزهم: يحي بن أحمد بن عبد الرحمان المرادي، أبو علي الماقري، أبو العباس المورودي، أبو عبد الله بن أبي بكر البرِّيّ، ابن عصفور...

ثناء العلماء عليه: تذكر كتب السير أنّه :كان إماما متفننا؛ جميل السيرة، معظّما في النفوس عند العامة والخاصة، كثير الكتب، مشاركا في الفقه، وعلم الكلام، معتنيا بالحديث وروايته.[1]

من أهم كتبه:[2]

__المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار.

__ كتاب في غريب الموطأ.

__التسلي عن الرزية والتحلي برضى باري البرية.

---

[1] __ مُعجَمُ أعلام الجزائر - مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت ،لبنان، ط2 ،1980، ص77.

[2] __ الأعلام، الزركلي،دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002،ج6، ص186.

_نظم العقود ورقم الحلل والبرود .

_الإقناع في كيفية الإسماع.

_ فرقان الفرقان وميزان القرآن.

وفاته: توفي عام 625هـ بتلمسان.[3]

2_ الاقتضاب في غريب الموطّأ وإعرابه على الأبواب:[2]

هو كتاب اقتضبه التلمساني من كتابه الكبير:" **المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار**"؛خصّصه لشرح معاني الألفاظ الغريبة الغامضة؛ التي تبدو غير واضحة؛ الواردة في "الموطأ" للإمام مالك بن أنس، أحد أئمة المذاهب الأربعة، وكتابه يعدّ أهم كتب الحديث والفقه؛ مرتّب على أبواب الفقه؛ جمع فيه مجموعة من الأحاديث النبوية والأقوال الفقهية من مصادر متعددة؛ ومعلوم أنّ أهل المغرب قد اعتنوا بهذا الموطأ شرحا، و توضيحا، واختصارا؛ وهو ما فعله التلمساني في كتبه؛ ببيان معانيه وتحليل جمله.

✓ **_منهجه في الكتاب:**

سار في شرحه على ترتيب أبواب الموطأ؛ حيث يورد الجملة التي ورد فيها اللفظ الغريب، فيشرحها ويوضّحها؛ ولا يذكر الحديث كاملا، كما قارن بين الروايات المختلفة؛ وذلك لاختلاف ألفاظها، أو إعرابها، ولا يستطرد في الشرح، ولا يذكر جذور الكلمة، ولا يكثر من الشواهد.

فمن العلماء من اهتم في مؤلفه في الجانب الحديثي، من حيث صحة المتن واستقامة السند، ومنهم من اهتم بالجانب الفقهي فركز الحديث في القضايا الفقهية في الموطأ، واهتم آخرون بالجانب اللغوي، فتناولوا الروايات المشكلة، والألفاظ الغريبة، فوجهوا تلك الروايات توجيه نحويا، وفسروا الألفاظ الغريبة تفسيرا مؤيدا بأشعار العرب، وأقوالهم.

_ترتيبه لكتابه على ترتيب الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي، وهي الرواية الأكثر شهرة في المشرق والمغرب، وفي بلاد الأندلس؛ لأن يحيى من أهلها.

-التزم عند كل حديث يشرح فيه كلمة غريبة أو يوجه فيه لفظة توجيها نحويا بذكر موطن الشاهد والاقتصار على الكلمة التي وقع فيها الإشكال دون ذكر الحديث كاملاً بسنده أو لفظه، وهذا سير على نهج الكتاب بالحرص على الاقتضاب دون الإسهاب.

_ عند اختلاف الروايات في الحديث الواحد يضع موازنة بين تلك الروايات ثم يصحح إحدى الروايات اعتمادا على القواعد النحوية، وتارة يعمد بذكره للروايات في الحديث إلى توضيح إعراب الكلمة في إحدى الروايات اعتمادا على حديث برواية أخرى

. _خلا الكتاب من كثير من عبارات الاستطراد، والتي كانت سائدة في ذلك العصر

عند المؤلفين، إلا أن التلمساني فضل عدم الاستطراد، وذلك حرصا على الإتيان بالمطلوب مباشرة، وهذه المزية تجدها من أول الكتاب إلى آخره.

_ وشح التلمساني كتابه بذكر القراءات القرآنية المختلفة، واحتجا على تصحيح اللغة والحكم عليها، مع الحرص على نسبة كل قراءة إلى صاحبها في الغالب.

-استشهد بالشعر العربي، في توجيهاته النحوية للأحاديث النبوية، ونسب كثيرا منه إلى قائله.

---

[3]_الوفيات، ابن قنفذ،تحق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1983، ص310[3]

[2] **_ ينظر:** الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب، محمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني، تحق: عبد الرحمان بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، السعودية، ط1، 2001، ص36 ،37

✓ **أهمية الكتاب:**

ـــيعدّ مرجعا مهما بالنسبة للفقهاء وطلاب العلم الشرعي؛ خاصة في توضيح الألفاظ الغريبة الواردة في الموطأ ؛ من خلال شرحها وبيانها، مما يسهم في فهم النصوص بشكل أعمق.

ـــ**يعين على** دراسة "الموطأ" بعمق وفهم دقيق.

ـــ يساعد الفقهاء على الاستدلال الشرعي الصحيح :عن طريق توضيح ألفاظ النص الحديثي وبيان مقاصده.

ـــ يسهم الكتاب في فهم السياقات الفقهية والشرعية للنصوص.

بعد التعريف بالمؤلف وكتابه؛ نقف عند مدلول مصطلحات: السياق و الدلالة و الغريب.

1ـــ **تعريف السياق:**

جاء في المعاجم العربية الآتي:" السِّينُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ حَدْوُ الشَّيْءِ. يُقَالُ: سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا؛وَالسَّيِّقَةُ :مَا اسْتِيقَ مِنَ الدَّوَابِّ. وَيُقَالُ: سُقْتُ إِلَى امْرَأَتِي صَدَاقَهَا، وَأَسَقْتُهُ. وَالسُّوقُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذَا، لِمَا يُسَاقُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْجَمْعُ أَسْوَاقٌ. وَالسَّاقُ لِلْإِنْسَانُ وَغَيْرُهُ، وَالْجَمْعُ سُوقٌ، إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمَاشِيَ يَسْاقُ عَلَيْهَا."[1]

" **هو** يسوق الحديث أحسن سياق، و إليك يساق الحديث،وهذا الكلام مساقة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه :على سرده."[2]

"السَّوق: مَعْرُوفٌ؛ ساقَ الإِبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقاً وسِياقاً، وهو سائِقٌ وسَوَّاق، شدِّد لِلْمُبَالَغَةِ؛... وَقَدِ انْساقَت وتَساوَقَت الإِبلُ تَساوُقاً؛ إِذَا: تَتابَعَتْ، وَكَذَلِكَ تقاوَدَت؛ فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوِقة."[3]

نستنتج من هذه المعاجم؛ أنّ السياق يراد به: التوالي والتتابع الذي يلحظ في حركة الإبل؛ أو مكونات الحديث أو النص.

وفي الاصطلاح:

يعرفه كونرد:" المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة، أو جملة في إطار من العناصر اللغوية وغير اللغوية"[4].

تعرفه بروس أنغام:" السياق يعنى : واحدا من اثنين: أولا: السياق اللغوي: وهو ما يسبق الكلمة، وما يليها من كلمات أخرى،

وثانيا: السياق غير اللغوي؛ أي الظروف الخارجية عن اللغة التي يرد فيها الكلام"[5]

حصرت الباحثة ردة الله بن ردة تعريف السياق من منظور التراث العربي في ثلاث نقاط:

ـــالسياق هو : الغرض؛ أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام.

---

[1] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت،1979 ج3، مادة (س وق)،ص117.

[2] أساس البلاغة، الزمخشري، تحق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،1998، ج1، ص 484

[3] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ج10، مادة (سوق)، ص 166

[4] دلالة السياق، ردَّة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحيّ، جامعة أم القرى، السعودية،1318، م1 ،ص40

[5] المرجع نفسه، ص40.

_ السياق : هو الظروف و المواقف والأحداث التي ورد فيها النص، ويقابل هذا المصطلح الحال أو المقام عند المتقدمين.

_ السياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر أو التحليل؛ ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام.[1]

نستخلص مما تقدم؛ أنّ هناك سياقان: سياق لغوي: هو النظم اللفظي للكلمة أو البيئة المحيطة بالعنصر اللغوي ضمن السلسة الكلامية التي تحكمها علاقات منها: المخالفة...، وسياق غير لغوي خارجي (سياق الموقف) يشمل مختلف الظروف والملابسات المتعلقة بالحدث اللغوي.

ظهرت في العصر الحديث نظرية السياق التي تبنّاها اللساني الإنجليزي **فيرث**؛ والذي يرى أنّ تحديد معنى الكلمة أو الجملة، أو العنصر اللغوي مرتبط بالسياق الداخلي أو الخارجي[2] ؛ وكذلك اهتمت التداولية بالسياق الذي يجري فيه الاستعمال أو التداول اللغوي؛ لأنّ اللّغة فيها جانبان: **وضع** متعلق بتلك الصورة التجريدية، واستعمال مرتبط بتداول اللغة؛ وهذا الاستعمال مُلْبِسٌ في بعض الأحيان له قواعده وخصوصياته ؛ فيحتاج إلى السياق لإزالة ذلك الإلباس؛ مثلا: الحذف في الكلام العربي.

وإذا عدنا إلى التراث العربي؛ فإنّنا نلحظ عناية خاصة بالسياق؛ حيث اقترن بفكرة المقام ؛ هذا المبدأ الرئيس في إنتاج الكلام العربي؛ إذ لكل مقام مقال يستدعيه[3]، وشرط الإبلاغ والإفهام متوقف على ذلك؛ ولهذا اهتم علماؤنا به في مجالات متعددة؛ في التفسير، الحديث، اللغة، البلاغة، وقد انعكس ذلك في دقة استنباطهم للأحكام وضبط الدلالات؛ خاصة مع تغيّر الزمان والمكان.

ملحوظة: السياق في الثقافة العربية ارتبط بالإجراء، فالنظرية السياقية العربية تأسيسها تأسيس إجرائي مثلا : النحو وأصول النحو، الفقه وأصول الفقه؛ بخلاف الحال عند الغرب ؛ فهو مبني على التنظير (النظرية السياقية عند فيرث)

ومن ثمة؛ فإنّ للسياق بنوعيه الداخلي والخارجي أهمية في بيان المعنى؛ فمثلا؛ كلمة صاحب أو عين لها أكثر من مدلول بحسب سياقها؛ فنقول : صاحب الفضيلة - صاحب البيت - صاحبي - صاحب المصلحة - صاحب الحق - صاحب رسول الله - صاحب نصيب الأسد - العين، عين الأمير...

فالصاحب الأول ملقب، والثاني مالك، والثالث صديق، والرابع منتفع، والخامس مستحق، والسادس معاصر، والسابع مقتسم، به يرى تمام حسان أن وضع الحدود الفاصلة بين الكلمات في السياق له طرق عديدة؛ أهمها[4]:

- الإفراد عن السياق.
- الحذف من السياق.
- الحشو في السياق.
- إبدال في السياق
- استخدام العلامات الموقعية في الكلام..

---

[1] المرجع نفسه، ص39، 40.

[2] _ نظرية فيرث السياقية بين الأصالة والتجديد، أحمد إحميدات، مجلة الضاد، 2015، من 263 إلى 266

[3] البيان والتبيين، الجاحظ، دار ومكتبة هلال بيروت، ج1، ص129.

[4] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة أنجلو، مصر، ص 229

إنّ تحليل المعنى يتطلب أن ندخل في اعتبارنا عناصر أربع: المتكلم، السامع، الرمز، المقصود .

وبذلك يؤدي السياق دورا وظيفيا مهما في بيان معنى الكلمة والكلمات والجمل؛ فهو المكان الطبيعي لبيان معانيها الوظيفية.[1]

1_1_أنواع السياق:[2]

أ_ السياق اللغوي : هو النظم اللفظي للكلمة،وموقعها من ذلك النظم.

ب_ السياق غير اللغوي؛ وهو كل ما يمثله العامل الخارجي عن اللغة من ظروف ثقافية ،اجتماعية ونفسية حسب رأي فيرث -وهو أنواع:

1_ السياق الحال المقام (المقام مجموعة شروط إنتاج القول).

2_ السياق الثقافي:

إنّ السياق في مجمله يتمثل في كل العناصر و الظروف - مادية كانت أو معنوية - التي تصاحب التفاعل الحاصل بين طرفي التخطاب، وهو عامل مهم في تأويل الملفوظات.

2_ الدلالة :

نجد في مقاييس اللغة الآتي:" دَلَّ: الدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِبَانَةُ الشَّيْءِ بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا، وَالْآخَرُ اضْطِرَابٌ فِي الشَّيْءِ.

فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ :دَلَلْتُ فُلَانًا عَلَى الطَّرِيقِ .وَالدَّلِيلُ :الْأَمَارَةُ فِي الشَّيْءِ. وَهُوَ بَيِّنُ الدَّلَالَةِ وَالدِّلَالَةِ."[3]

الدلالة في اللغة يراد بها: الإبانة عن طريق أمارة أو غيرها.

✓ اصطلاحا:

يعرفها الشريف الجرجاني بقوله:" الدلالة :هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"[4].

وعليه؛ فالدلالة هي استعمال الدال (لفظ أو غيره)؛ لبيان المراد (من المتكلم) أو الوصول إليه (من السامع)[5].

3_ الغريب:

---

[1] ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص199. ص 243،

[2] ينظر: أحمد عمر مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ص 67 ومابعدها.

[3] _ معجم مقاييس اللغة، ج2، ص259.

[4] التعريفات، الشريف الجرجاني،دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1983، ص104

[5] دلالة السياق؛ ص22.

قال الخليل:"والغَريبُ :الغامض من الكلام"[1]، أو هو: ما قل استعماله؛ أي: المفردات التي ليست شائعة ولا معروفة في الاستعمال العام، فلا يعرفها إلا ذو البصر بمتن اللغة.[2]

4_ مكانة الحديث:

_ يعدّ الحديث ثاني مصدر من مصادر التشريع الإسلامي، من ثمة فإنّ معرفة ألفاظه ومعانيه ضرورية للوصول إلى مقاصده، ولا يتم ذلك إلا بالرجوع إلى كلامه وتتبع سياقاته والمقام الذي قيل فيه؛يقول الجاحظ: "ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا، ولا أقصد لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى، من كلامه صلى الله عليه وسلم"[3]. ولهذا؛ يحتاج فهمه إلى أدوات لسانية ومنهجية للكشف عن حمولته الدلالية والمعرفية؛

لأنّ الحديث النبوي له تأثير قوي في نفوس النّاس؛ (قال رسول الله: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو ليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه رواه البخاري ومسلم)فيه حكمة وبيان للمعاملات، من احترام الجوار الضيق والواسع (بين الدول).

ومنه؛ نقول إنّ القرآن محفوظ بأسباب النزول، أما الحديث فهو يحتاج إلى الوقوف على السياق اللغوي والمقامي لصونه وحفظه.

4-1_أهمية السياق في بيان دلالة الحديث النبوي:

السياق هو الذي يحدد أو يعطي للكلمة أو العبارة المعنى الخاص ، والتي تنفى عنها المعاني الأخرى؛ فهو قرينة ترجيح؛ يقول ابن القيم:" السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته فانظر إلى قوله تعالى :﴿ذق إنّك أنت العزيز الكريم ﴾الدخان: 46، كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير."[4]

يقول ابن تيمية: ينظر في كلّ آية وحديث بخصوصه وسياقه، وما يبين معناه من القرائن والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع، في باب فهم الكتاب والسنة، والاستدلال بهما مطلقاً، ونافع في معرفة الاستدلال والاعتراض والجواب، وطرد الدليل ونقضه."[5]
نلحظ أن السياق هو الأصل العظيم في فهم الكتاب والسنة والموجه للمعنى وهو يعدّ قرينة ترجيح.
من أمثلة ذلك: استحضار السياق الخارجي وأثره في بيان دلالة الحديث النبوي، خاصة المقالي، حديث أبي بَكرة نُفيع بن الحارث قال: قال رسول الله :ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً، يعني قالها ثلاث مرات، قلنا: بلى يا رسول الله، قال :الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ، وكان متكئا؛ فجلس، فقال :ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت."[6]

ومن ثمة؛ فإن اجتزاء الحديث النبوي من سياقه اللغوي والمقام يوقع المتلقي في سوء الفهم: **"لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْقِيَ مَاءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ"**[7] أي :يحْرُمُ على المُؤمن أن يُدخِلَ ماءَه -أي :نُطْفَتَه- في رَحِم امْرَأةٍ زرَعَ فيها شخْصٌ آخَرَ نُطْفَةً أخرَى حتَّى حَمَلَت

---

[1]_ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال، بيروت، ج4،ص411.
[2]_ الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان، الهيئة العامة للكتاب، مصر،1982،ص289
[3]_ الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص14.
[4]_ ابن القيم، بدائع الفوائد، دارالكتاب العربي، لبنان، ج4، ص9.
[5]_ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد، السعودية، ج6، ص18
[6]_ البخاري، صحيح البخاري.
[7]_ الترميذي، السنن.

منه، فكأنّه شبّه الولَد إذا علَق في الرَّحِم بالزَّرْعِ النَّابِتِ، قال: "يعني: إتيانَ الحَبالَى"، أي :إنَّ المُرَادَ بهذا هو النَّهْيُ عن جِماعِ امرأةٍ حامِلٍ من شَخصٍ آخَر إذا ملَكَها المسلِمُون في السَّبْيِ.

كذلك يسهم توظيف السياق في استنباط الأحكام الفقهية؛ قال رسول الله":إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْتِيَ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ."[1]

ننبه إلى نقطة مهمة؛ألا وهي: اختلاف سياق التلقي بين زمن الرسول صلى الله وسلم والزمن الحاضر؛ نتج عنه اختلاف المتلقين في فهم وتوجيه الدلالة بناء على ما يقتضيه العصر.

ننبه إلى أنّ الدلالة في الحديث النبوي تحدد بحسب السياق؛ فقد تتسع الدلالة لتشمل معاني أخرى بحسب السياق، منها:

حديث الجار: قَالَ:رسول الله: مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إلى جارِهِ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَنْ كانَ يُؤمنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ) رواه مسلم)

فقد يتجاوز مفهوم الجار الخاص إلى الجوار بمفهومه العام (اتساع مدلول الجوار ليشمل جوار الأمم).

5ـــأسباب وجود الغريب في نصوص الحديث:[2]

ـــفصاحته العالية .

ـــ قدرته على مخاطبة جميع الوفود والقبائل كلّ حسب لهجته؛ ما جعل أصحابه لا يفهمون الكثير من المفردات محل الخطاب.

ـــ تسرب الفساد إلى اللغة العربية بسبب اختلاط العرب .

6ـــمظاهر الغرابة في الحديث النبوي:[3]

ـــ الاستعمال لبعض الألفاظ النادرة أو مهجورة الاستعمال،:قال رسول الله:" لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات"[4] بمعنى الترك؛ قال ابن الأثير: عن تركهم إياها والتخلف عنها. يقال: ودع الشئ، يدعه ودعا، إذا تركه. والنحاة يقولون: إن العرب أماتوا ماضي يدع، ومصدره، واستغنوا عنه بترك .والنبي صلى الله عليه وسلم أفصح. وإنما يحمل قولهم على قلة استعماله، فهو شاذ في الاستعمال، صحيح في القياس. وقد جاء في غير حديث، حتى قرئ به قوله تعالى " **ما ودعك ربك وما قلى** " بالتخفيف."[5]

ـــ الاستعمال لبعض الألفاظ الجديدة التي لم يعرفها العرب إلاّ في حديث النبي صلى الله عليه وسلم كقوله عن سيدنا عيسى: أنّه ينزل بين مَهْرُودَتَين،[6] يعني: ثَوْبَيْنِ مَصْبُوغَيْنِ بِوَرْسٍ ثُمَّ بِزَعْفَرَانٍ، وهذا كِنايةٌ عن جَمالِ مَلْبَسِه

ـــ استعمال صيغ صرفية غير شائعة عند العرب الأمر الذي جعلها غير مألوفة مثل: تبأس وتمسكن، وتمفعل، والأصح تسكن وهو الأفصح.

---

[1] ـــ شرح مسلم للنووي.
[2] ـــ حسيبة حسين، غريب الحديث وعلاقته بعلوم اللغة (مقال)، مجلة دراسات لسانية، الجزائر، ص 386
[3] ـــ المرجع نفسه، ص 388.
[4] ابن عساكر، تاريخ دمشق.
[5] ـــ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، 1979، ج5، ص166.
[6] ـــ المرجع نفسه، ج5، ص258

خلاصة القول؛ إنّ معرفة غريب الحديث من المهمات الأساسية لفهم الأحاديث وتوجيهها توجيها صحيحا.

بعد هذا العرض النظري ننتقل إلى تحليل نماذج من المدونة :

4_ نماذج تطبيقية:

إن السياق هو الذي يوضّح المعنى العام أو المقصد من الحديث النبوي الذي سيق له، ولهذا نجد علماء الحديث والفقه؛ يركزون على مراعاة سبب وروده، وتتبع قرائن الحال والمقال المتصلة به. وقد اعتمدت هذه القاعدة في الدرس الحديثي و في العلوم الأخرى، ممّا يؤكد أصالتها في تراثنا العربي، ولذلك يشيع إعمال السياق في فهم الحديث النبوي من خلال جمعُ طرق الحديث ورواياته، وكذا مراعاة سبب الورود، مع تحليل النص النبوي، و معرفة أساليبه، وخصوصياته.

ولهذا كان للسياق دور كبير في فهم السنة النبوية، واستيعاب معانيها ومقاصدها وأحكامها، دون تحريف للألفاظ، أو تكلّف في المعاني والتأويلات البعيدة التي لا تمت لها بصلة في أمور الدين والدنيا.

ويمكن أن نتلمس ذلك من خلال نماذج الاقتضاب.

1_منه قوله عليه السلام" :حافظوا على العصرين"؛ لأنّ الغداة والعشي؛ يقال لهما :العصران، ويقال أيضاً الليل والنهار :العصران."[1]

نلحظ التلمساني يشرح المقصود بالعصرين؛ أي: صلاة قبل طلوع الشمس؛ وصلاة قبل غروبها؛ متتبعا السياق اللغوي والثقافي العربي؛ وهذا ما نلمحه من تعليله اللغوي في بيان دلالة العصرين؛ الغداة والعشي أو الليل والنهار؛ ذكر الخطابي في بيان غريب لفظ "العصرين" الآتي: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ، حدثنا أَبُو دَاوُدَ حدثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ حدثنا خَالِدٌ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ أَبِي حَرْبِ بْنِ أَبِي الأَسْوَدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَضَالَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" حَافِظْ عَلَى الْعَصْرَيْنِ."

وَمَا كَانَتْ مِنْ لُغَتِنَا فَقُلْتُ؛ وَمَا الْعَصْرَانِ؟ قَالَ" :صَلاةٌ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٌ قَبْلَ غُرُوبِهَا."

فإنّ العَصْرَيْن عند العرب: الغَدَاةُ والعَشِيِّ قَالَ حُمَيْد بنُ ثَوْر:

ولن يَلْبَثَ العَصْران يومٌ ولَيْلَةٌ ... إذا طَلَبا أن يُدْرِكَا ما تَيَمَّمَا

فجعلهما يومًا وليلةٍ"[2].

نجد أنّ التلمساني في توجيهه للفظ العصرين؛ ركز على السياق اللغوي؛ انطلاقا من تتبع كلام العرب، والسياق الخارجي المتعلق بالجانب الثقافي؛ ومن ثمة؛ لم يهتم بالدلالة المعجمية الإفرادية فحسب بل بالدلالة التركيبية؛ إذ نجد في الكلام حذفا يدل عليه المقام؛ حافظوا على العصرين، وتقدير الكلام حافظوا على صلاة العصرين؛ فحذف لفظ الصلاة، و قد دل عليه المقام أو السياق(قرينة العصرين).

2__ يقول: "والعتمة :من الليل قدر ثلثه، وبذلك سميت الصلاة، وقيل :سميت عتمة لتأخرها."[3]

---

[1] الاقتضاب، ج1،ص23.

[2] غريب الحديث، الخطابي، تحق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، بيروت، 1982 ج1، ص186

[3] الاقتضاب، ج1،ص23.

بيّن التلمساني مدلول صلاة العتمة؛ بأنّها التي تكون في الظلمة الليل؛ أو ثلثه؛ أو المتأخرة؛ وذلك بالرجوع إلى السياق اللغوي المعجمي والتداولي؛ يقول الخطابي :"العتمة: ظلمة الليل. يُقَالُ: عتم الليل: إذا أظلم، وقد أعتم الناس؛ إذا دخلوا في ظلمة الليل."[1]

ويستدل على هذا المعنى بقول الفرزدق يصف قوما:[2]

إِذَا غَابَ عنكم أَسْوَدُ العين كنتم ... كراما وأنتم ما أقام ألائمُ

تَحدَّثُ ركبان الحجيج بِلُؤمكم... ويقري به الضيف اللقاح العَوائم

3_ قوله" :كنت أرى طنفسة؛الطنافس :هي البسط كلّها، واحدتها طنفسة، كذلك رويناه على ما حدثني به الأستاذ العلامة أبو علي حسن بن عبد الله القيسي، عن الفقيه الحافظ الزاهد أبي جعفر بن غزلون، عن أبي الوليد الباجي؛ قال أبو الوليد :ووقع في كتابي مقيداً: طنفسةٌ. بالكسر، وطنفسةٌ بالضم .وقال أبو علي" :طنفسةٌ "بالفتح لا غير.

قال الشيخ- أيده الله بتوفيقه-: ثلاث لغاتٍ فيها معروفاتٍ، الفتح فيهما، والكسر فيهما، وكسر الطاء وفتح الفاء. وعرض الغالب منها والأكثر من جنسها ذراعان."[3]

نلحظ اللفظ الغريب " طنفسة" أو الطنافس؛ والتي تعني كما يرى التلمساني: البسط أو العرض؛ وقد اعتمد على السياق اللغوي المعجمي والتداولي في بيان دلالتها؛ جاء في تاج العروس:" يُقال: طَنْفَسَ الرَّجُلُ، إذا سَاءَ خُلُقُه بعدَ حُسْنٍ. وَكَذَا إذا لَبِس الثِّيَابَ الكثيرةَ، كطَرْفَسَ، فَهُوَ مُطَنْفِسٌ ومُطَرْفِسٌ. والطِّنْفسة، مُثَلَّثَةَ الطّاءِ والفاءِ، وبضمِّهما عَن كُرَاعٍ، ويُروَى بكسرِ الطاءِ وفتحِ الفاءِ،وبالعَكْسِ :وَاحِدةُ الطَّنَافِسِ، وَهِي النَّمْرُقَةُ فَوق الرَّحْلِ.

قيل :الطَّنافِسُ: لِلبُسُطِ والثِّيَابِ ولِحَصِيرٍ من سَعَفٍ عَرْضُ ذِرَاعٌ"[4]

نشير إلى أنّ هذا المعنى يشيع في عاميتنا؛ نقول: أنف مطنفس؛ أي عريض أو مبسوط؛ كلّ هذا يدل على أهمية مراعاة السياق في معرفة دلالات الألفاظ الغريبة.

4_ يقول التلمساني: "التهجير : "السير في الهاجرة؛ وهي القائلة .يُقال :هجر تهجيراً؛فهو مهجرٌ ومُهجرٌ، وهجر النهار تهجيراً: اشتدّ حره."[5]

يوضّح التلمساني دلالة اللفظ الغريب **" التهجير"؛ التي تعني : السير في الهاجرة؛ أي شديد الحرارة؛ من خلال تتبع السياق اللغوي المعجمي والتركيبي ؛ وذلك بغرض بيان الوقت من النهار الذي تشتد فيه الحرارة والذي فيه النهي عن الصلاة فيها؛يقول الخليل:"** والهَجْرُ، والهاجرُ والهَجيرةُ :نصف النّهار... صِرْنا في الهَجير، وهَجَّر مثله."[6]

---

[1] _ غريب الحديث، الخطابي، ج2، ص 286.

[2] شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري،محمد بن محمد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ج3، ص66

[3] _ الاقتضاب، ج1،ص24.

[4] تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، 2001، ج 6، ص127

[5] الاقتضاب،ج1، ص26.

[6] العين، ج3، ص387.

ومعلوم أنّ العبادات موقوتة بأوقات تؤدى فيها؛ وقد حرص التلمساني على بيانها من خلال استجلاء الغريب في ألفاظها الدالة عليها كي لايقع اللبس.

من ذلك:

5_يقول التلمساني:" الغسق: مطلقاً: الظلمة. و"غسق الليل "مضافاً؛ إذا غاب الشفق.

-و"الدلوك -"أيضاً -أصله :الميل"[1]

بيّن التلمساني مدلول اللفظ الغريب الغسق ؛ عن طريق تتبع السياق اللغوي المحدد للوقت ألا وهو ظلمة أول الليل؛ الذي تؤدى فيه الصلاة؛ يقول الزبيدي"الغَسَق، مُحرَّكةً :ظُلْمَةُ أوّلِ اللّيْلِ."[2]

أمّا دلالة اللفظ الغريب "دلوك الشمس"؛ فيقصد -كما يرى- الميل، أو غروب الشمس وزوالها؛ فيكون وقت إقامة الصلاة من دلوك الشمس إلى غسق الليل، يقول صاحب مجاز القرآن معلقا على قوله تعالى:" ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيْلِ: ودلوك الشمس من عند زوالها إلى أن تغيب"[3]

وهو ما يؤكده الزمخشري بقوله:"دلوكها: غُرُوبهَا؛قَالَ :وَهُوَ فِي كَلَام الْعَرَب دلكت براح .دلكت الشَّمْس :إِذا زَالَت وَإِذا غَابَتْ قيل: لِأَن النَّاظر إِلَيْهَا :يدلك عينه"[4].

- ✓ _ وقوله" :إسباغ الوضوء على المكاره، فالمراد من الإسباغ: الإكمال والإتمام، ومنه؛ قوله تعالى:[وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ] أي: أتمها وأكملها و"إسباغ الوضوء :"أن تأتي بالماء على كل عضو يلزمك غسله مع إمرار اليد؛ فإذا كملته فقد توضأت مرة. و"المكاره "قيل: إنّه شدة البرد، وكلّ حال يكره الإنسان فيها نفسه على الوضوء؛ من شدة برد، وألم جسم، وقلة ماء، وحاجة إلى النوم، وعجلة تحفز إلى أمر مهم، فهي من المكاره، ومنه :دفع تكسيل الشيطان له عنه"[5]،

فالمراد من الإسباغ: الإكمال والإتمام.

كما نلحظ توظيفا للسياق اللغوي في بيان دلالة الغريب بالرجوع إلى القرآن الكريم.

_ما جاء في الغضب:

حديث :"**ليس الشديد بالصرعة"** بفتح الراء، وهو الذي يصرع الرجال بقوته. والصرعة- بتسكين الراء-: الضعيف الذي يصرعه كل من باطشه، والعرب تستعمل" فعلة "المتحركة العين في صفة الفاعل، والساكنة في صفة المفعول، فيقولون :رجل لعنة، إذا كان يلعن الناس، ولعنة، إذا كان هو الملعون، وكذلك سبة وسبة، وسخرة وسخرة وضحكة وضحكة، قال تعالى ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) ﴾، ومعنى الحديث :أنّ

---

[1] الاقتضاب،ج1، ص27

[2] تاج العروس، ج26، ص249

[3] مجاز القرآن، أبو عبيدة، محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي – القاهرة، ج1، 387

[4] الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري، تحق: علي محمد البجاوي ،ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ج1، ص436

[5] الاقتضاب،ج1، ص191.

قوة النفس أحسن من قوة الجسم، ...و"ليس "في قوله" :ليس الشديد بالصرعة "نفي أن يسمى الصرعة من الرجال شديداً، وإنما معناه :أن المالك لنفسه أحرى بأن يسمى شديداً، وإن كان الصرعة يسمى بذلك"[1].

فالمقصود من لفظ الشديد المالك لزمام نفسه.

_حديث" :**لا ضرر ولا ضرار** "قيل: هما بمعنى على التأكيد .وقال الخشني:الضرر :ما تضر به صاحبك، بما تنتفع به أنت، والضرار :أن تضره من غير أن تنفع نفسك .أبو عمر :وهذا وجه حسن، ومتى قرن بالنفع لم يكن فيه إلا الضر أو الضرر .وقيل :بل هما بمعنى القتل والقتال، كأنه قال :لا يضر أحد ابتداء ولا يضاره إن ضاره، وليصبر، وهي مفاعلة، وإن انتصر فلا يتعدى ونحو هذا .وقال ابن حبيب :الضرر عند أهل العربية: الاسم، والضرار :الفعل، قال :والمعنى: ولا يدخل على أحد ضراراً بحال."[2]

نلحظ في هذا المثال توظيفا لقرينة السياق في التمييز بين الضرر والضرار من حيث القصد.

_ حديث "**لا رضاعة إلا ما كان في المهد**"؛فيه حذف للصفة ومعناه: لا رضاعة محرمة، فحذف الصفة لما فهم المعنى، وعلم أنه يريد :نفي الرضاع المحرم خاصة، ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم" :لا رضاع بعد فصال " محرم و"لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد (كاملة أو فاضلة ."وتقدم هذا المعنى بأوعب من هذا .وقوله" :والرضاعة قليلها وكثيرها إذا كان في الحولين يحرم "كان الوجه أن يقول: يحرمان، ولكنه أخبر عن أحدهما اختصاراً، وحذف خبر الآخر، كما قال تعالى :[وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ]، ولم يقل يرضوهما .ومن روى" :تحرم "بالتاء على التأنيث جعله خبراً عن الرضاعة، وكان على معنى التقديم والتأخير، كأنّه قال :والرضاعة كلها تحرم قليلها وكثيرها، فأخبر عن المبدل منه، وترك البدل."[3]

_ ربط التلمساني هذا الحذف بشرط إدراك المعنى؛ وهذا الحذف مرتبط بقرينة السياق.

_ حديث" **فإنّ الغلول عار ونار وشنار**""الغلول: الخيانة في الغنيمة، والفعل منه :غلّ يغل، ."فالشنار :ما يشين الإنسان، مثل :العار."[4]، ومن ثمة؛ اتضح مدلول اللفظتين من خلال السياق اللغوي.

- ✓ حديث" :فإنّها هي الحالقة أي: المهلكة المستأصلة للدّين، كحلاق الشعر .يقال :تحالق القوم: إذا قتل بعضهم بعضاً، وقيل :المراد به هنا: قطيعة الرحم وفساد ذات البين.[5]

- ✓ **أسس ومعايير توجيه للمعنى عند التلمساني:**

أ_ استنباط المعنى بناء على الأحكام الشرعية:

---

[1]_ المرجع نفسه، ج2، ص439.
[2]_ الاقتضاب،ج2، ص262.
[3]_المرجع نفسه، ص163
[4]_ المرجع نفسه، ص 27
[5]_ المرجع نفسه، ص438

ب_**الاعتماد على القواعد الفقهية في بيان معاني الحروف: مجيء أو للتقسيم لا التخيير:**

قول الرسول": صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر" "أو -"ههنا-: على قول جماعة من الأصحاب لا يصح أن تكون للتخيير، وإنّما هي للتقسيم؛ ولو كانت للتخيير لاقتضى أنّه يخرج الشعير من قوته أو قوت غيره من التمر مع وجوده، ولا يقولونه، فتقديره على قولهم: صاعاً من تمر على من ذلك قوته كذا؟ وعلى قول مخالفهم يصح أن تكون للتخيير."[1]

ج_توجيه الروايات الحديثية اعتمادا على القواعد النحوية(اعتماد الصناعة النحوية)

توجيهه رواية:"كانوا يصلون على الجنائز بالمدينة الرجال والنساء: بالخفض والرفع، بقوله: والخفض جائز على البدل من الجنائز (وأما الرفع فعلى أن يجعل) الرجال (مبتدأ) والنساء (عطفًا عليهم، ويضمر الخبر، كأنّه قال :الرجال والنساء مجموعون، أو مقرونون، فحذِف، ودلت عليه الواو بما فيها من معنى) مع (، وهذا نحو ما حكاه سيبويه من قولهم).أنت وشأنك، وكل رجل وضيعته."[2]

_اعتمد التلمساني على الأمثلة عند توجيهه للأحاديث والآثار توجيها نحويا؛ وذلك حتى تتضح المسألة ويسهل فهمها؛ إذ بالمثال يتضح المقال، وهي في مجملها من الأمثلة الشائعة عند النحويين والفقهاء؛ ولهذا صحح بعض الروايات الحديثية التي تخالف هذه القواعد.

2_السياق غير اللغوي: وهو الذي يتضمن سياق الحديث الزمان المكان، في سفر، حضر، المخاطب...

_ما روي عنه يوم فتح مكة : **لا هجرة ولكن جهاد ونية** ."وفي حديث آخر" :لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة"، و"لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار"، فلأجل هذا وجراءه وجب تبيين وجه الهجرة المستعملة في الشريعة، وهي تنقسم :

أولها :الهجرة الأولى إلى بلاد الحبشة في صدر الإسلام قبل خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة.

والثانية :من مكة إلى المدينة عند استدعاء الأنصار إياه، وهي الهجرة المذكورة في حديث سعد، وكانت مفترضة على أهل مكة، وبها جرى التاريخ.

المستعمل في أيام عمر إلى يومنا هذا، وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة" :لا هجرة ولكن جهاد ونية."

والهجرة الثالثة :هجرة المعاصي، وترك ما خالف الحق، داخل في هذه الهجرة، ومنها قوله تعالى : "وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ".

والهجرة الرابعة :هجرة الكافر من بلد الحرب إذا أسلم، فعليه الخروج إلى بلد المسلمين فرضاً لازماً؛ لقوله عليه السلام" :أنا بريء من كل مسلم مع مشرك."

والهجرة الخامسة :أن ينفر المسلمون لقتال المشركين؛ لأنهم يهجرون أوطانهم للجهاد .ومنه الحديث" :أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار "وهو معنى قوله" :إذا استنفرتم فانفروا."[3]

نلحظ في كلام التلمساني توظيفا للسياق الخارجي المتعلق بملابسات الحديث منها: يوم فتح مكة (الزمان)

---

[1]_المرجع نفسه، ص324

[2]_ المرجع نفسه، ج1، ص259

[3]_ المرجع نفسه، ج2، ص 288.

✓ حديث" :**وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة** "فالإصاخة: الاستماع، وهو ههنا :استماع حذر وإشفاق، خشية الفجاءة والبغتة، وأصله الاستماع"[1].

نجد توظيفا للسياق الخارجي (الزمن يوم الجمعة) لبيان المعنى المراد.

_ توظيف السياق في التمييز بين الاستعمالات الحقيقية والمجازية:

حديث" :**اشتكت النار إلى ربّها فقالت: يا رب:، أكل بعضي بعضاً**"

حمله جماعةٌ :على الحقيقة، وحمله جماعةٌ :على المجاز .فالذين حملوه على الحقيقة قالوا :أنطقها الله الذي أنطق كل شيءٍ، وأنطق في القيامة الأيدي، والأرجل، والجلود، وأخبر عن شهادتها،..."[2] .

وهكذا؛ فتوجيه المعنى الحقيقي أو المجازي مرتبط بقرينة السياق.

نستنتج ؛ أنّ التلمساني اعتمد على السياق اللغوي؛ أو المقامي في توجيه دلالة الغريب؛ وبيان المعنى العام من الحديث الذي سيق من أجله، واستنباط الأحكام المتعلقة به؛ كل هذا يدلل على معرفته العميقة بأسرار اللغة وعلوم الشريعة؛ لأنّ كلام الوحيين لا يفسره إلاّ اللسان العربي.(وإن كان تركيزه الكامل على السياق اللغوي من خلال العناية بالسياق النحوي)

نخلص مما أسلفنا ذكره؛ إلى النتائج الآتية:

_ تعدّ نظرية السياق؛ نظرية أصيلة في التراث العربي الإسلامي؛ حيث نجد تمثّلاتها ضمن مجالات متعددة: الحديث، التفسير، الفقه، اللغة...

_ أهمية السياق في توجيه دلالة الغريب، وبيان المراد منه.

وتتجلى في الآتي:

_**تحديد المعنى الدقيق**: إذ يساعد على معرفة المعنى الصحيح للكلمة الغريبة؛ خاصة إذا كانت الكلمة لها معانٍ متعددة.

_**بيان استخدامات الكلمات: المجازية والحقيقية.**

_**توضيح العلاقات** القائمة بين الكلمات والجمل.

_**التعرف على التباين الثقافي أو التاريخي** :الكلمات الغريبة قد تكون مرتبطة بسياقات ثقافية أو تاريخية محددة.

_**إزالة اللبس** :السياق يمكن أن يحل أي لبس بين الكلمات المتشابهة، ويوضّح أي منها هو المعنى المقصود.

---

[1] _ المرجع نفسه، ج1، ص135.

[2] _ المرجع نفسه، ج1، ص35.

_ الفهم الصحيح للسنة قائم على استحضار السياق؛ الذي يعد أهم ركيزة في تحقيق ذلك.

_ استنباط المعاني لا يقف عند حدود ظواهر الألفاظ؛ وإنّما يستند إلى سياقها الذي وردت فيه.

_ إنّ للسياق دورا بارزا في تقريب المعاني والنصوص رغم تغير المكان والزمان.

_ ركز التلمساني على بيان اللفظ الغريب الوارد في الجمل أو العبارات.

_ اهتم بالمعنى ،وهو من أهم الأصول التي اعتمد عليها في توجيهه الإعرابي للأحاديث.
_ركز على ثلاثة عناصر في توجيه للغريب: المعنى، الصناعة الإعرابية، الحكم الشرعي.

_اعتمد على السياق كمعيار أساسي للوصول إلى المعنى واستنباط الأحكام.

_ ركن في بيان الغريب إلى كتب الغريب والمعاجم والشواهد الشعرية.

_ تميزت تحليلاته بالدّقة في بيان المعنى .

_ سعى التلمساني إلى تيسير الموطأ؛ وذلك بتوضيح غريبه وفتح مغاليقه؛ ليكون مرجعا للفقهاء وطلاّب العلم في استنباط الأحكام.

_ مراعاة سياق الحديث؛ يعصم من الانحراف والفهم السقيم للسنة. (يساعد في عملية تأويل الملفوظات)

من التوصيات:

_ ضرورة العناية بمنجز أعلام الجزائر الذين خدموا الدين واللغة.

_ تأسيس مرجعية جزائرية؛ ترتكز على بعث جهود علماء الجزائر.

.